

خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة اجتماع المناظرة الفلاحية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله

حضرات السادة :

انها أمنية عزيزة علينا جمعناكم فيها اليوم على اختلاف مسؤولياتكم أو نشاطكم في مشكلة الفلاحة، وربما وجدتم في خطاب العرش الذي القيناه بمناسبة الذكرى الثالثة لجلوسنا على عرش أسلافنا المقدسين — ربما وجدتم في خطاب العرش تصميما وإرادة مصممة — في آن واحد — على رفع مستوى الفلاحة، ورفع مستوى الفلاح، ولست في حاجة الى أن أظهر لكم أو أبين من جديد الأسباب التي دفعتني الى أن أعطي لهذا القسم الحيوي من ثروتنا الأهمية ومهما يكن التآمر وكيفما كانت جهودنا فسوف نظل دائما مقصرين في الفلاحة المغربية ومقصرين في حق الفلاح المغربي وذلك لأسباب اقتصادية واجتماعية في آن واحد فاذا نحن ذكرنا الفلاح المغربي فأول ما يتبادر الى ذهننا أننا نتذكر ذلك الرجل الذي نمر على ضيعته أو على بستانه وهو يعمل فيه بآلة الحرث ووسائل أخرى للعمل، وهو في عمله لا يبذر غير الزرع والحبوب فقط، بل يغرس كذلك الأشجار، أما أرضه فهي ليست من الأراضي البور، ولكنها من الأراضي السقوية.

وفي الحقيقة فان هذا ليس هو الفلاح المغربي إن حقيقة الفلاح المغربي هو كونه مشكلة وعالة وثقلا على كاهل الأمة المغربية، وإن ما يزيد على ميلون من الفلاحين أكثر ما يملك الواحد منهم هو اثنان من الهكتارات، وهي لا تسمن ولا تغني من جوع..

اذن ما هي المشاكل الموضوعة أمامنا ؟ إن المشاكل هي أن نجد القنطرة التي يجب أن نعملها وذلك بين طبقات الفلاحين الذين يوجدون عندنا في البلاد.

أولا : هناك الطبقة الغنية وهي قليلة، وهناك الطبقة المتوسطة وهؤلاء في إمكانهم أن يكسبوا عيشهم وقوتهم سنويا دون خسارة.

وهناك الطبقة الثالثة وهي الطبقة الكثيرة وهذه الطبقة كيفما كانت معونة الدولة لها، وكيفما كانت قروض الدولة لايمكن لنا بأي حال أن نقول أن الدراهم التي تسلمهم اياها الدولة هي بمثابة تجهيز للبلاد ولكن هذه في الحقيقة بمثابة معونة وإعانة وتعاون فلاحي وطني مادامت حالة هؤلاء الفلاحين الذين ذكرناهم اليوم على حالتهم من الناحية العقارية أي مساحة الأرض أو وسائل عملهم التقنية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما هي المشاكل الاقتصادية الموضوعة أمام الفلاح المغربي ؟

إن المشاكل الاقتصادية الموضوعة أمام الفلاح المغربي هي أنواع شتى، منها ما هو اقتصادي محض، وما هو اقتصادي وسياسي في آن واحد.

انني أقول اقتصادي وسياسي في آن واحد.. فمثلا أراضي الاستعمار التي سيسترجعها المغرب الآن من الفلاحين الأجانب ماذا سيكون مصيرها ؟ هل الدولة مستعدة ام لا وقادرة ثانيا على تسيير الضيعات التي كان يسيرها فنيون وإطارات اختصاصية ؟

هل الدولة مستعدة وعندها الوسائل الكافية لتسيير هذه الضيعات وحتى لا يصاب الدخل الوطني بالفساد في آخر السنة..

ومن جهة أخرى هل مصلحة الدولة أن توزع الأراضي التي توجد بها أشجار مسقية وبها آلة او آلتان للحرث ؟

وحتى لو وزعنا الأرض بالهكتارات هل من الممكن أن نوزع الآلات الموجودة بها ؟ هذا فيما يخص الاختيار الأول.

أما الاختيار الثاني، فيجب أن نتساءل مع أنفسنا ألم يحن الوقت لفتح آفاق البادية أمام سكان المدن الذين يجهلون مشاكل البادية وسكانها ؟.. وهنا نقول وحتى لو أخذنا أراضي المعمرين والتي هي حقا مغربية، هل من مصلحتنا أن نفتح باب الملكية في وجه المغاربة بشروط وعقد حتى يعملوا ويجتهدوا، ويعرفوا مشاكل البادية ويعيشوا في وسط مشاكلها.

هذا هو الاختيار الثاني فيما يخص أراضي المعمرين، وكيفما كان الحال، هناك تجربة. وأنا شخصيا لا أنتقد أي تجربة كيفما كانت مادمنا لا ننتقد الا الانسان الذي لم يستخلص أي شيء من الظروف اللازمة. ان كل إنسان في حياته سواء كان في دوار أو جماعة أو شعب لابد له من التجارب. وإذا كانت التجربة غير ناجحة فالواجب على الشخص إذ ذاك هو استخلاص العبر والنتائج المترتبة عن تلك التجربة.

هناك تجربة وهي أراضي الجماعات التي أعطيت للعملة، هل أنتجت هذه الأراضي الى يومنا هذا ؟ في إمكاننا أن نمر لنشاهد تلك الضيعات وهي ضائعة ضياعا تاما. فهل سيكون هذا هو مصير ثلاثمئة ألف هكتار التي أخذناها من المعمرين الأجانب.

اذن فالمشكل الثاني هو اختيارنا لموضوعنا..

ثالثا : ان الفلاحة اليوم وفي القرن العشرين لم تعد مسألة فردية أو عائلية بل أصبحت مشكلة جماعية فكما أن العامل مكلف في معمله بانتاج الصناعة وكما ألطبيب ملزم بمعالجة عدد من المرضى في اليوم أو في السنة فكذلك الفلاح يجب أن ينظر اليه اليوم الى انتاجه وعلى أن انتاجه ليس لنفسه ولأسرته فقط، ولكنه اليوم يضطلع بامانة تتمثل في رقعة من الأرض بوطنه، بحيث يمكن ان نقول انه يعمل في اطار وهو اطار الالتزام بعقدة بينه وبين المجتمع على انه يجب عليه أن ينتج في أحسن الأحوال وفي أحسن الظروف.

فما هي وسائل العمل ؟ انها تتجسم في التقنيين والفنيين والأطر الصغيرة والتعليم الفلاحي وأخيرا فان أقل ما يمكننا أن نعمله هو أن نعطيه رقعة من الأرض يمكن أن يكسب منها رزقه.

ولنعد الى هؤلاء الفلاحين الصغار، فالذي يكسب هكتارين أو ثلاثة تترك له هذه المساحة ولكن يجب وضعها في اطار وهذا الاطار يتلخص في أن آلة الحرث يمكنها أن تسير الى ضيعة أخرى، ويجب أن تكون هناك وسيلة القروض ووسيلة التعليم الفلاحي.

هناك عدد من الناس لا يستعملون السماد الذي هو بالنسبة للفلاحة الدواء، وهناك أناس لا يعرفون الحب اللائق المناسب للمكان وكذلك الوقت وهذه كلها تدخل في مسائل التعليم الفني والتقني.

هذه هي بعض المشاكل الموضوعة أمامنا اليوم.

رابعا : هناك مشكلة أخرى وهي مشكلة اعانة الفلاح فيما يخص بيع موارده فنجد الفلاح الصغير ضعيفا أمام شركات كبيرة وأمام مجموعات عندها من الوسائل ما يمكنها من تنمية حبوبها وانتاجها وهو رجل يجد نفسه أمام الحاجة فهو سيشتري الدابة ليجر بها محراثه ثم يبيع منتوج أرضه بأبخس ثمن وفي وقت غير مناسب وذلك لكي يمكنه أن يسد حاجته، أما اذا أراد أن يبعث بابنه الى المدرسة أو أن يشتري دابة للحرث في هذه الحالة يجب علينا أن نسهل عليه تلك المراحل وتلك الطرق الملتوية بينه وبين السوق حتى يمكن له أن يربح بصفة أكثر.

هذه من جملة المشاكل التي يجب أن نعرضها على بساط النقاش ولكن الفلاحة هل هي الارض والانسان أو بين الأرض والانسان.

هناك عنصر ثالث وهو الماشية، ما هو النهج الذي يجب أن نسلكه فيما يخص الماشية ؟ ان مشكلة الماشية تترتب عليها مشاكل عدة منها أولا أسعار اللحم ومنها أيضا تغيير نفسية الكسابة هؤلاء الذين لا يعيشون الا اذا رأوا امامهم عددا من الماشية وهي تمر أمامهم، ولا يخطر ببالهم أنه في وقت ما من السنة ستذبح وتحفظ بقصد البيع حتى لا تضيع بالمرض أو الأخطار المترتبة من نزول المطر بغزارة.

ثانيا : ما هي مجموعة المواشي التي سنعمل على اعدادها هل نكتفي بالماعز أو نعمل على تربية البقر ؟ وهل سنكتفي ببقرنا فقط لكي يبيع ويشتري كل واحد منا وكيفما كان أو يجب أن نحاول رفع مستوى تغذيتنا تارة بالحليب ومرة بالزبدة وبذلك يرتفع مستوانا ويكون المواطن المغربي متوفرا على عدد من الكالوريات وهذه ضرورية لبلاد ناشئة تعتمد على شباب كثير.

هذه من جملة مشاكل الماشية التي ستطرح على انظاركم والتي ستكون محط نقاشكم.

ولي اليقين بان هذه المشاكل ستجدون لها الحلول.

وأخيرا كل منا يعلم ان هناك مكاتب تتوفر على اطارات بها فنيون تتحمل من أجلهم الدولة نفقات تقدر بالملايير في السنة هل هذه المكاتب التي (هي) في الحقيقة ضرورية في بلاد مثل بلادنا الفتية والتي لم نكن نتوفر عليها من قبل والتي لا موضوع نهائيا للمناقشة في صلاحيتها هل هذه الاطارات الفنية أصابت الهدف الذي أنشئت من أجله أم أنها لم تصبه هل قامت بالعمل اللازم ازاء الفلاحين أو أن هدفها الأول هو اصلاح الأرض أو أن هذه المكاتب جعلت بينها وبين الفلاحين سدا وسياجا بدعوى التقنية.

هذه أيضا من جملة المشاكل ولكن مشكلة المشاكل قبل كل شيء هي أن أقول لكم ما سبق لي أن قلته في خطاب العرش وهو ان الانتاج المتعلق بالفلاحة يجب أن ينتج بأي وسيلة من الوسائل، وقلت لكم يجب أن ينتج في إطار العقدة الجماعية التي توجد بين الفلاحين وبين عموم المواطنين.

فكيف يمكن أن نكون قاسين في معاملتنا وفي محاسبتنا والمغاربة عندهم دكان ومصنع صغير ومعمل صغير

لا يتصور أن نكون قاسين بالنسبة لهم والحالة هذه أن المعمل يمكن أن يتهدم ويعاد بناؤه وكذلك الحال بالنسبة للحانوت، يجب أن تكون عندنا عقدة جماعية بين المجتمع المغربي وبين المواطن المغربي وبين كل فلاح وفيما يخص هذا الاخير فان ما يتعلق به هو تربة بلاده.

واذا حاولنا أن نفهم الفلاح على أن الحقيقة بيننا وبينه هي عقدة التزام فردي وجماعي فيجب عليه أن ينتج أحسن الانتاج اذ ذاك نعتقد أن المشاكل من الناحية الاقتصادية سيسد فراغا ربما يفوق حاجاتنا، لماذا : انني كما قلت لا يمكن لنا أن نصنع البلاد اذا لم تكن عندنا سوق داخلية.

فالمغرب مثلا قرر صنع آلات الخياطة فمن الذي سيشتري هذه الآلات اذا لم يشترها المغاربة هل نصدرها للخارج ؟ سنعرضها عند ذاك للمزاحمة في السوق التجارية وأكثر سكان المغرب من الفلاحين اذن كل صناعة تنتجها البلاد فالذي يشتريها بالطبع هو الفلاح.

ولكن هذا الفلاح يجب أن يتوفر على المال الكافي وسيكون مطالبا بشراء الحبوب وأداء ما عليه وما يلزمه للحرث أما الزيادة التي تتوفر لديه بعد كل هذا فسيحتاج اليها اما ليتزوج بها أو للحج، أو يشتري أشياء من تلك الصناعة المغربية.

اذن وقبل كل شيء يجب أن نرفع من مستوى دخل الفلاح حتى نخلق بذلك سوقا داخلية والا ـــ وبكل صراحة ـــ لا يمكن لنا أن نتكل على الصناعة الخارجية.

حضرات السادة :

انني أعتقد شخصيا أن هذه النقط المهمة والتي سنطرحها على انظاركم والتي وضعتها الآن أمامكم غرضنا الوحيد هو أن نجد لها حلولا.

نعم الى يومنا هذا كانت الحلول والمشاكل تفرض أو تقترح دون أن يفهمها من وضعها ولا الذي اقترحها وبالتالي من وضعت لهم.

اذن ما هي فائدة المناظرة ان فائدتها أن لا تترك أي حاجز بين جميع الفلاحين في هذه البلاد.

فلهذا اخترنا في هذه المناظرة زيادة على الاطارات الحكومية الفنيين والممثلين والمنتخبين وكبار الفلاحين ومتوسطيهم وصغارهم حتى يكون الجدال والنقاش والحوار مباشرا بينهم بدون سياج وبدون حاجز.

نعم، ليست جميع المشاكل التي طرقت أو التي ستطرق في هذه المناظرة ستجدون لها الحلول الكافية.. لا اظن ولكننا اذا وجدنا نصف الحلول لثلاثة ارباع المشاكل أو حتى ثلث المشاكل ـــ اذ ذاك نعيد عقد اجتماع بيننا في سنة او ستة اشهر وذلك لنناقش التجربة التي وضعناها على بساط النقاش أو القرارات التي اتخذت.

ثانيا : وربما على ضوء هذه التجربة ستظهر لنا حلول اخرى وان كنت شخصيا أطلب من قرائحكم ومن عملكم المتواصل ان تجدوا الحلول لجميع المشاكل..

امامنا ثمانية أيام يجب أن نواصل العمل فيها بالليل والنهار حتى نتمكن في آخر هذه المناظرة ان نسفر على نتائج لأنه وبكل صراحة اذا لم تعط هذه المناظرة النتائج المنتظرة فليست هناك نهاية ولكن ربما ستوصلنا بنتائج اخرى.



انني أعتقد أن هذه المناظرة جد حيوية بالنسبة لمستقبل الفلاحة، ان هذا الكلام الذي أقوله لكم يشاركني فيه عدد كبير من الناس، ويعرفه بالأخص جميع الوزراء واني اطلب من الوزراء — واغلبهم منتخبون — أن يقوموا بواجبهم الأول كمنتخبين، وان لا يدعوني بمفردي أفسر للشعب أريد منهم ان يذهبوا الى المداشر والقرى ويزوروا البوادي ويحضروا جميع المواسم والمناسبات للاتصال بالجماهير لينوروا اذهانهم لأنهم بالامس كانت في اعناقهم امانة واحدة هي ثقتي.. أما اليوم فعندهم امانتان : ثقتي وثقة الشعب، الشعب الذي أعتبرهم اجدر الناس بالدفاع عن حقوقه، فلهذا أطلب بكيفية رسمية من جميع الوزراء ومن جميع المنتخبين الذين فهموا هذا الكلام وشاركوا فيه من أول وهلة أن لا يتركوه بدون توضيح أريد ان لا تمر ثلاثة أشهر حتى يكون هذا الكلام قد قيل واعيد حتى يتمكن جميع الناس من فهمه والعمل به وان النبي صلى الله عليه وسلم كان من عادته كلما جاءه حكم من القرآن أو السنة أن يردده على الناس مرارا وتكرارا، ويبعث من يردده ويفهمه للناس، واننا امام غزو سلمي هو انعاش هذه البلاد بجميع الوسائل ولو بذلنا أرواحنا وأوقاتنا وصحتنا. وكيفما كان الحال فان هذه البلاد قد كتب الله لها النجاح بجميع الوسائل. ان لكل واحد منا مشاكله الخاصة، وله اسرته الخاصة وليست هذه المشاكل هي مشاكل الفلاح الصغير أو التاجر الكبير انها مشاكلنا جميعا.. وأنا الذي اخاطبكم عندي مشاكلي الخاصة عندي بيتي وأسرتي وأولادي.. ومع ذلك أضحي بوقتي لماذا ؟ لان مستقبل اولادي وأولادنا جميعا هو هذا العمل الذي سنحققه لهم.. ولو أدى الأمر ان يكون ذلك على حساب صحتنا واعصابنا اننا ملزمون امام التاريخ وأمام القسم الذي اديناه، وأمام الوسائل الانمائية التي يملكها هذا المغرب في القارة الافريقية محكوم علينا بانجاح هذه البلاد.

وقبل الختام أقترح عليكم مسطرة للعمل أعتقد شخصيا فائدتها.. وهي تكوين لجان خاصة للمذاكرة في جميع المسائل.. وأطلب من جميع المشاركين في هذه المناظرة أن لا يترددوا أبدا في إعطاء نظريتهم وان لا يترددوا ولو لحظة واحدة، حتى ذلك الذي لا يعرف القراءة والكتابة يجب ان لا تأخذه الدهشة.. وكما يقولون : التجربة سبقت القراءة يجب أن لا يخاف الفلاح الصغير من المهندس والا يترفع المهندس على الفلاح الصغير المتواضع يلزم ان تعمل تلك اللجان كل صباح ولكن لا تواجه تلك اللجان مشكلة واحدة وهي الفلاحة تقسم الى اقسام وفي المساء يخصص العمل لرؤساء اللجان مع مقرريهم. وذلك سيعطي الفرصة لتوضع سلة واحدة جميع ما اعد في النهار.

وأملي في الله سبحانه وتعالى وفيكم وفي قريحتكم ان نكون في آخر هذه المناظرة قد توفر لدينا من الرزق ومن النتائج ما يجعلنا كما يقول المثل العربي القديم : زرعوا فحصدنا ونزرع فيحصدون.. ويجب ان نحقق افضل مما حققوه.. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

ارتجل بغابة المعمورة

الاثنين 23 شوال 1383 — 9 مارس 1964